



من أخطر الأزمات التي تعاني منها الثورة السورية هي الأزمة الفكرية المتمثلة بجرثومة الغلو التي أدرك الطغاة مفعولها العجيب في إجهاض الثورات فبدأوا بتغذيتها واستثمارها.

كثير من يحاربون الغلو يرفضون تفكير معادلته إلى عواملها الأولية لأن ذلك سيلزمهم بإسقاط رموز ومدارس ومناهج صنمية طالما عنت الوجوه لها من دون هدي السلف، والكثير منها يتوجه لإبطال المخرجات والنتائج دون المساس بالمقدمات والقواعد، وينشغل بتحليل المفرزات دون توقيف آلة الإنتاج.

عندما تظهر المفاصلة العقدية بين الجماعات الإسلامية بعد الخلاف السياسي، فإنك تدرك أن الخلاف فيما بينها خلاف سياسي ليس لباس العقيدة أو أنه خلاف عقدي أخفى لمقاصد سياسية.

تبني النخبة من الجماعات الإسلامية لخطورة الفكر الخارجي من بعد دخوله في حيز الإنحراف السلوكى يدل على أنهم يفكرون بطريقة مختلفة حتى عن العوام من أهل الفطرة السليمة الذين يدركون فساد المنهج ببساطة الفطرة فما يميز أهل العلم عن غيرهم إدراك الفتنة قبل وقوعها فإذا وقعت عرفها العالم والجاهل.

لا ننكر أن للغلو أسباب نفسية في صناعته فقد كان لسجون الطغاة وظلم العتاوة وقهر الجبارية ومشايخ التمييع والانبطاح الكيل الأولي في ترويج بضاعة الغلو، فكثير من المظلومين قد يتحولون لظالمين عندما يعز الإنصاف.

الإرهاب الفكري الذي يمارسه عبيد الليبرالية وعبيد الجامية التي ينبع منها الطغاة سيقسم المجتمع إلى فئة مغفرة في الإلحاد والبغض للدين، وفئة مغفرة باللغو والتکفير كردة فعل على محاربة الدين الحق، وعلى من يريد أن يفرض لوناً من الدين على الناس كافة، فالكتب الفكرية والتربية القيمافية تجعلنا نحمل عقد الغلو من طفولتنا فقد رأينا كثيراً من هواة الإجرام التحق بالمارقة لتنفيذه محبة مكتوبة في ممارسة الإجرام باسم الدين والجهاد. وبذلك يغيب تيار الاعتدال ويتجذر الصراع الذاتي في داخل المجتمع حتى في الأسرة الواحدة

بعا لعدد أسباب نشوء الغلو تعددت وسائل العلاج الناجع القاطع، والاقتصار على وسيلة علاج واحدة ستزيد من استفحاله لذلك كان الجمع بين مناظرات ابن عباس -رضي الله عنهما- لدحض شبكات من التات بفكيرهم وهو يبتغي الحق، وبين سيف علي -رضي الله عنه- ليحصد رؤوس من لم تبرأ بالحجـة فكان السيف لهذه الرؤوس شافياً حيث لم تجدي معه الحجة. كما أن لكل فعل رد فعل متساوية له بالقوة ومعاكسة له بالاتجاه، فمن المعلوم أن أول الفرق المبتدعة التي ظهرت في صدر

الإسلام هم الخارج فكان الإرجاء من آثارها وعوارضها.

إننا علمنا أن الخارج والغلاة أصل الداء والإرجاء من عوارض العلة فإن الاتجاه لعلاج العرض دون المرض كمن يضع العربة أمام الحصان ويقلب المعادلة، لذلك تجد هؤلاء الغلاة يرفعون عقيرتهم دائماً بخطر الإرجاء وضرورة محاربة الإرجاء ولا ينسون بذلة شفقة في محاربة الغلو إلا على استحياء.

فمثل الغلو والممارقة كشجرة خبيثة كلما زدت في تقليم أغصانها لتزين طلعها الشيطاني اشتدت جذورها فلا غنى عن اجتناث أصلها من الجذور حينذاك لن يكون لها قرار (قتل عاد وإرم) هو العلاج النبوي فلا نسرح بدعوى إصلاحهم والتحلي بالحكمة والروية.

يكاد يكون التلازم مطرد بين افتراق الأمة وتشريدتها وظهور الممارقة واستفحالها وبين اجتماعها وانجحارها، فكما أخبر الصادق المصدوق أنهم يخرجون على حين فرقه من الناس لأن الميكروبات الطفifie لا تتكاثر إلا في الفراغات ولا تتغذى إلا على جسد ميت والمادة لا تقبل الفراغ بحال.

من الخطوات الضرورية لمحاربة التيار الخارجي المتّنامي في الأمة أن يقوم مشروع الأمة الشعبي وال رسمي بتبني قضايا الأمة بقوة فالشباب المراهق المتخمس أمام العجز الرسمي يرى في تيار الغلو البديل وبارقة الأمل نحو الحلم الإسلامي الذي يصبو إليه.

وهو يرى الأمة في مأزق الغياب الحضاري لمشروع جامع ومقنع للأمة فالمشروع الإسلامي الرشيد هو من يردم الهوة والشقق والافتراق بين مكوناتها التي تنموا بينها جرائم الغلو والتّكفّير يبني الفكر الغالي على منظومة فكرية تعامل ظاهرياً مع النصوص بإطلاقات وعموميات وهو عمد ما يعتمدون عليه من الأدلة والنصوص العامة والمطلقة والمتّباهة والمجملة وعالجهم القاتل لشبهاتهم بتخصيص العام، وتقييد المطلق، وإحکام المتّباهة، وتفصيل المجمل.

في معسكرات الغلاة يغيب علم السيرة النبوية فيخرج أقوام جاهلون بالفقه الحركي، ويغيب علم أصول الفقه فيخرج من يتعامل مع النص بظاهرية، ويغيب السياسة الشرعية تكون النتيجة = غلو وتكفّير.

إن تحكم العقلية الحزبية بالنص يحرف الفهم عن مقصد الشارع إلى تبرير سياسة الحزب، فالغلاة يقطعنون أحاديث المعارك والاغتيالات من السيرة، والمرجئة يقطعنون أحاديث الرحمة والعفو، وكذلك التعامل مع النصوص فيبينما يقف الغلاة مع نصوص الوعيد وينسون نصوص الوعيد يتوقف المرجئة مع نصوص الوعيد. وينسون نصوص الوعيد.

لست مع الذين يشخصون ويفسرون علة الغلو بمؤامرة مخابراتية لأن الفكر الخارجي ذاتي التدمير يتشكل من تنازع الشهوات والشبهات وقصار ما يفعله الأعداء هو القدرة الفائقة في استخدام هذه التشوّهات الفكرية واستثمارها في ضرب مشروعنا الحضاري وإبقاء مسافة أمان بينها وبيننا من خلال إشغالنا بهذه الصراعات وجعلها تتحرك بتحكم عجيب من خلال إدخالها في مسارات حرب الموارد لتسمن ومن ثمة لتستعمل في حرب وكالة يحصد ثمارها الأعداء، فكان نصب الفخ على الموارد بما يشبه طعم الصياد ومن خلال الآلة الإعلامية الهائلة في استقطاب الجنود وترويج الفكر، وتأجيج عواطف الأغار وعند الحاجة لتشذيب المشهد تشن عليهم حروب استعراضية تزيد من التعاطف الشعبي معها بدلاً من إضعافها.

كما كان للمجاملة والمخادعات الإعلامية التي تصور هؤلاء المجرمين بما يشبه حال الصحابة الفاتحين أثراً مدمرًا على عقول الشباب بحيث صنعت منهم رموزاً يقتدي بها من شباب الأمة، فالإعلام الجهادي لم يكن يشكل أكثر من 20% من الحقيقة وكانت تسيره التنظيمات بما يخدم دعايتها، فتضخم من خسائر العدو وتقلّل من خسائرها بل إنها تقلب كثيراً من الهزائم إلى فتح مبين.

فمن ظن أن المارقة كانت في التجربة العراقية قائمة بالقسط وطرأ عليها الانحراف في التجربة الشامية فقد أبعد النجعة، فجرائمها في الشام لا تعدل عشر ما ارتكبته في العراق، ولكن كانت بعيداً عن الإعلام، وبنصيحة الخفاء والتكتم حتى لا تتهم أنك تعطن في المجاهدين، أسدل ستار سميك على جرائم مفجعة.

الخلاصة:

لا ينبعي لنا الاقتصار على علاج واحد في مواجهة الغلو وتبعاً لتنوع أسباب تشكيل الظاهرة وإنما الحرب خاسرة، فبتفكيرك المنظومة الفكرية بمحض شبهاهم وإدارة الحرب الإعلامية وكشف إجرامهم والقيام بمشروع حضاري يكون مقصداً لتغريب طاقات شباب الأمة، وإعادة النظر في وسائلنا التربوية، ومقاومة الطغيان (المنتج الأكبر للغلو)، ومن خلال العمل الأمني الذي يحصد رؤوس أكابر مجرميها هنا يأتي العمل العسكري ناجعاً في اجتثاث شجرتها الملعونة الخبيثة.

والله أعلم،

مشاركات نور سورية

المصادر: